غزة تحت النار والحصار: شهداء جدد واقتصاد مشلول وأطفال يموتون على أبواب المعابر المغلقة

الاثنين 5 يناير 2026 08:40 م

في اليوم السابع والثمانين لاستمرار خروقات اتفاق وقف إطلاق النار، يواصل الاحتلال الإسرائيلي عدوانه المركّب على قطاع غزة، عدوان لا يقتصر على القصف والنسف وإطلاق النار، بل يمتد ليشمل تشديد الحصار، خنق الاقتصاد، وتفكيك ما تبقّى من المنظومة الصحية، في مشهد تتداخل فيه السياسة العسكرية مع الكارثة الإنسانية اليومية.

تصعيد ميداني متواصل رغم وقف إطلاق النار

شهدت الساعات الأربع والعشرون الماضية تصعيدًا جديدًا في وتيرة الاعتداءات الإسرائيلية، أسفر عن استشهاد ثلاثة مواطنين جنوبي قطاع غزة، بينهم صياد، إضافة إلى إصابة 16 آخرين بجروح متفاوتة، بحسب ما أفادت به مصادر طبية.

وفي جنوب القطاع، واصلت قوات الاحتلال عمليات النسف المنهجي للمباني السكنية شرقي مدينة خان يونس، بالتزامن مع قصف مدفعي مكثف استهدف المناطق الشرقية من خان يونس ورفح. كما أطلقت آليات الاحتلال النار بكثافة باتجاه خيام النازحين في منطقة المواصي غرب رفح، في خرق صارخ لبنود وقف إطلاق النار، الذي يفترض أن يوفّر حماية للمدنيين ومناطق النزوح.

ولم تتوقف الاعتداءات الجوية، إذ شنّت طائرات الاحتلال ثلاث غارات متفرقة على مدينة رفح خلال ساعات قليلة، ما زاد من حالة الرعب وعدم الاستقرار بين السكان، خصوصًا في ظل الاكتظاظ الكبير للنازحين.

غزة تحت القصف شمالًا ووسطًا

وفي مدينة غزة، أُصيب طفل جراء قصف إسرائيلي استهدف حي الزيتون جنوب شرقي المدينة، بالتزامن مع قصف مدفعي وإطلاق نار كثيف على المناطق الشرقية، حيث نفّذت قوات الاحتلال أيضًا عمليات نسف جديدة.

وامتدت الاعتداءات إلى وسط القطاع، حيث أطلقت آليات الاحتلال النار شرقي مخيم البريج، فيما استهدفت الزوارق الحربية الإسرائيلية سواحل مخيم النصيرات بإطلاق نار كثيف، في استمرار لسياسة استنزاف المدنيين وحرمانهم من أي شعور بالأمان، حتى في مناطق الصيد والسكن الساحلية.

أرقام ثقيلة لحصيلة الدم

وأفادت وزارة الصحة في غزة بوصول ثلاثة شهداء جدد و16 مصابًا إلى مستشفيات القطاع خلال الساعات الـ24 الماضية، لترتفع حصيلة الشهداء منذ بدء سريان وقف إطلاق النار في 11 أكتوبر 2025 إلى 420 شهيدًا و1184 مصابًا، إضافة إلى انتشال 684 جثمانًا من تحت الأنقاض.

وبذلك، ترتفع الحصيلة الإجمالية للعدوان الإسرائيلي على القطاع منذ السابع من تشرين الأول/أكتوبر 2023 إلى 71,386 شهيدًا و171,264 مصابًا، في واحدة من أكثر الحروب دموية في التاريخ الحديث للمنطقة.

حصار اقتصادي خانق ومعابر شبه مغلقة

بـالتوازي مـع التصـعيد العسـكري، يفرض الاحتلاـل قيـودًا مشـددة على الحركـة التجاريـة ومعـابر قطـاع غزة، مـا يفـاقم الأزمـة الإنسـانية والمعيشية. وأكـد مـدير العلاقات العامـة والإعلام في الغرفـة التجاريـة الصـناعية الزراعيـة بمحافظـة غزة، خليل عطا الله، أن الرصـد اليومي يبيّن تذبذبًا حادًا في دخول الشاحنات، وانعكاس ذلك مباشرة على توفر السلع واستقرار الأسعار.

وأوضـح أن يوم الأحد شـهد إغلاقًا كاملًا لمعبرَي كرم أبو سالم وكوسوفيم، مع الإبقاء على منفذ واحد فقط سـمح بدخول 183 شاحنة، وهو رقم ضئيل للغاية مقارنة بالاتفاق الذي ينص على دخول 600 شاحنة يوميًا منذ بدء وقف إطلاق النار.

وأشار عطا الله إلى أن 81% من الشاحنات الداخلـة كانت مساعدات إنسانية بواقع 149 شاحنة، فيما لم يتجاوز عدد الشاحنات التجارية التابعة للقطـاع الخاص 34 شاحنـة فقـط، مـا أدى إلى نقص حـاد في السـلع الأساسـية وارتفـاع أسـعارها بنسـبة وصـلت إلى 136% مقارنـة بمـا قبل السابع من أكتوبر.

بطالة قياسية وقدرة شرائية منهارة

ويعيش سـكان القطـاع أوضاعًـا معيشـية غير مسـبوقة، مـع تجـاوز نسـبة البطالـة 80%، واسـتنزاف المـدخرات والممتلكـات خلال عـامين من العـدوان والحصار. ورغم الانخفاض النسبي للأسـعار مقارنة بذروة الأزمة، إلا أنها لا تزال بعيدة عن متناول الغالبية العظمى من المواطنين، الذين باتوا يشاهدون السلع في الأسواق دون القدرة على شرائها.

كما حـذّر عطا الله من أزمـة سـيولة نقديـة خانقـة، في ظل تـداول عملات ورقية تالفة وفرض عمولات مرتفعة للحصول على النقد وصـلت إلى 15%، ما يشكّل تهديدًا مباشرًا للحركة التجارية المحدودة أصلًا.

أطفال على حافة الموت: المرض والحصار وجهان لمأساة واحدة

في قلب هـذه الكارثـة، تتجسـد المأساة الإنسانيـة بأقسـى صورها في قصـص الأطفال المرضـى، الـذين يـدفعون ثمن إغلاق المعابر ونقص الـدواء. بيـن سـرير عنايـة مركزة وخيمـة نزوح، تتقـاطع حكايتـا الرضـيعين عمر أبـو يوسـف وميس معمر، كنمـوذج لآلاف الأطفـال المحاصـرين بالمرض والعجز الطبي.

عمر أبو يوسف.. معركة منذ الولادة

يرقد الرضـيع عمر أبو يوسف (9 أشـهر) في أحـد مستشـفيات القطاع، وهو يعاني حالة صـحية معقدة منذ ولادته، تمثلت في انسداد معوي خلقي اسـتدعى إجراء فتحـة جراحيـة (مفـاغِرة) لإنقـاذ حيـاته. غير أن الفحوصات كشـفت لاحقًا عن غياب الخلايا العصبيـة في فتحـة الشـرج، ما جعل حالته أكثر تعقيدًا وخطورة.

وبسـبب نقص الإمكانيـات الطبيـة، عجز الأطبـاء عن اسـتكمال الفحوصـات الدقيقـة أو التـدخل الجراحي اللازم، في وقت بـدأت تظهر مضاعفات خطيرة هـددت وظـائف كليتيه، وسـط تحـذيرات من أن أي تـأخير إضـافي قـد يكـون قاتلًا . ورغم حـاجته الماسـة لتحويلـة علاجيـة عاجلـة خـارج القطاع، لا يزال عمر رهينة إغلاق المعابر.

ميس معمر.. الجوع والمرض في حضن العناية المركزة

وفي مستشـفى ناصـر بخـان يـونس، تخـوض الرضـيعة ميس معمر (6 أشـهر) معركتها الخاصـة. وُلـدت بوزن 1.4 كيلوغرام فقـط، نتيجـة سوء تغذية أصاب والدتها خلال الحمل. وتعاني ميس متلازمة داون، وسوء تغذية حاد، وثقبًا في القلب، وتشوهًا خلقيًا في الكلى.

يؤكـد والـدها أن حالتهـا تتـدهور يومًـا بعـد يوم في ظـل نفـاد الأدويـة والمسـتلزمات الطبيـة، مشـيرًا إلى أن "النـاس في غزة يموتون فعليًا بسبب نقص الدواء"، في توصيف يلخّص واقع المنظومة الصحية المنهكة.

منظومة صحية على وشك الانهيار

وتحـذّر وزارة الصـحة في غزة من نقص حاد في أكثر من نصف أصـناف الأدويـة ونحو 70% من المسـتلزمات الطبية، ما أجبر المستشفيات على حصر خدماتها بحالات إنقاذ الحياة فقط. ويؤكد أطباء أن مئات المرضى، خصوصًا الأطفال، يحملون تحويلات طبية عاجلة لا قيمة لها في ظل إغلاق المعابر.

ووفق معطيات منظمـة الصـحة العالمية، توفي 1092 مريضًـا أثنـاء انتظـار الإجلاء الطبي بين يوليو 2024 ونوفمبر 2025، وسـط ترجيحات بأن العدد الفعلي أكبر بكثير.

انتظار قاتل بلا أفق

بين القصف المتواصل، والحصار الاقتصادي، وانهيار النظام الصحي، يعيش قطاع غزة حالـة انتظار قاتل، حيث تتحول أبسط الحقوق، كالعلاج والغـذاء والحياة الآمنـة، إلى مطالب مؤجلـة. وبين عمر الـذي ينتظر عمليـة قـد تنقذ حياته، وميس التي تصارع المرض والجوع، تتجسد صورة جيل كامل يُترك لمواجهة الموت، بينما يبقى فتح المعابر شرطًا للحياة، لا بندًا قابلًا للتأجيل.